

حينما اتّخذتُ طرقي إلى المدرسة ذلك الصبّاح، قال إنّه سيسأّلنا في أسماء الفاعل والمفعول، وهو ما لم أكن أفقهُ فيه شيئاً وإنّمّا بقيّة النّهار خارج الأسوار مُتمرّغاً في أحضانِ وعلى الأغصانِ هناكَ في أطرافِ فهرعتُ إلى المدرسةِ موقناً بأنّه فإنّ عليَّ أنْ أريدَ ما يكونُ 2 ما إن اجتزّتُ دارَ البلدية حتّى لمحتُ جمّعاً غفيراً منَ الناسِ أمامَ لوحةٍ ماذا عساهُ أنْ يكونَ الآنَ حدث؟ وعَدَوتُ بأقصى سُرعةٍ، وفي أثناءِ ذلك صاحَ بيَ ستصلُّ إلى مدريستكَ في مُنسَعٍ منَ الوقتِ! وما إنْ حاذَتُ الحديقة الصغيرة حتّى كنتُ قد استنفدتُ كانت الجلبة ترتفعُ حتّى تطربُ أسماعَ المارةِ أسفلَ وأيّدِينا على آذانِنا سعيّاً وراءَ فهمَ أعمقَ، ومسطّرة مُعلّمنا الرّهيبة تطرقُ المنضدةِ أمامةً، على أنَّ الهدوءَ ساعتها كانَ مُخيّماً على تجاويفِ الزّمانِ والمكانِ. وليسَ ثمةَ فوضى! . ونظرتُ عبرَ النّافذةِ، فيما كانَ السيدُ وما اعتراني مِنْ رُعبٍ قاتلٍ! على أنَّ شいّناً لم يحدُثْ، رأني السيدُ (هامل) فقالَ اذهبْ إلى درّجكَ بسرعةِ أيّها الصغيرُ (فرانز)، 4.». مِنْ دونكَ وقفزتُ بسرعةٍ إلى مقعديِ، فما الخطُّ؟ 5 على أنَّ استغرابي بلغَ أوجَهُ حينما لمحتُ المقادِعَ الخافّةَ وقد امتلأَتْ بأهل القريةِ الأطرافِ، ونَفراً كثيراً. رُكْبَتِيهِ، وفي خضمِ تساؤلاتيِّ الحاجةِ تلكَ رأيتُ السيدَ (هامل) يتجهُ إلى مقعدهِ، بها: فقد صدرَ الأمرُ أنصتوا إلىَ جيّداً، 6 ونزلتُ كلماتهُ على نزولِ الصّاعقةِ! ذلكَ إذاً ما تَسَمّرَ الناسُ بسبِبهِ أمامَ لوحةِ ذلكَ كمْ أشعرُ الآنَ بوخزِ الضّميرِ. وبدأتُ لي حقيتيِّ وكتبيِّ الثقليةِ - المزعجةُ سابقاً - أحبّاً ورفاقاً، أما مُعلّمنا السيدُ (هامل) فقد أنساني قُرْبُ فراقِهِ مسطّرتهِ الرّهيبةِ وغرابةِ أطوارِهِ . ولاتَّ حينَ مندمِ ساعتها تمنيتُ مِنْ كُلِّ قلبيِ كالآبلِهِ، ويدايِ مُطريقَا كُنتُ، خجلًّا. - لنْ أوِيَخَكَ أيّها الصغيرُ (فرانز)، أرأيَتْ؟ لقد . ذاكَ عيبُ (الألزاس) الأكبرُ ومع ذلكَ إنَّ آباءَكُمْ وأنا نصيبي مِنَ اللّومِ والتّقصيرِ لا يأسَ بهِ كذلكَ؛ ألمْ أرسِلْكُمْ لِسقِيِّ أزهاريِّ في بعضِ الأحيانِ بدلاً مِنْ تدريسيِّكمْ؟ وعندما كُنتُ أرغُبُ في الذهابِ لصيدِ الأسماكِ ألمْ أكُنْ أكتفيَ بِمَنحُكمْ إجازةً أطلقُ بعدها بِسنانِيِّ كالفاتحِ المُظَفِّرِ؟ منطقيةً، مُبئّناً أنَّ الاستعمالَ إذا ما حلَّ بشّعبِ فإنَّ تمسُكَ هذا الشّعبِ بِلغتهِ يعني امتلاكهِ مفتاحِ سجنِهِ، لمْ أتذَكّرْ أنّي أصغيتُ سالفاً بذلكَ القدرِ من الاهتمامِ، ذلكَ الصّبرِ . وتلا القواعدَ درسَ في الكتابةِ، كتبتُ جمّلهُ على أوراقِ جديدةٍ بخطٍ جميلٍ. ليتكَ كُنتَ لم يكنْ هناكَ ثمةَ فَقُلتُ في نفسي 8.؟ سيرغمونَ الحمامَ أيضًا على الهديلِ بالألمانيةِ وكُنتُ أرفعُ رأسي بينَ الوهلةِ والأخرىِ، تخيلْ، قُلتُ في نفسي: طوالَ أربعينَ سنةً كانَ يجلسُ على الكرسيِّ ذاتِهِ أمامَ الفصلِ، فيما تتسلّلُ نظراتهُ عبرَ النّافذةِ بينَ فينةٍ وأخرى إلى حديقهِ البهيجِ . ما تغيرَ من ذلكَ شيءٌ سوى امتدادِ يدِ البلي - وتسامتُ، وأذرعَ اللّبابِ التي تسلّقتَ الجدارَ مُلتفّةً حولَ النّوافذِ حتّى جاوزَتِ السقفَ . ويُحاطُمُ كيائنهُ، لا يقرُّ لهُ قرارٌ، لكنَّ السيدَ (هامل) كانَ يتحلّى بشجاعةٍ لا مثيلَ لها، وكتابهُ مفتوحٌ على كانَ سماعُ ذلكَ الدّرسِ الأخيرِ! ذكراهُ لا تُبارِحُ خياليِّ، ودقّتْ ساعةُ المدينةِ الكبيرةُ فجأةً مُتزامنةً معَ صوتِ أبوابِ الجنودِ العائدينَ وبدا شاحبًا باهِتَ أيِّ أصدقائيِّ، على أنَّهُ لمْ يستطعْ مواصلةَ الحديثِ، ثمةَ غصةً